مجالات التوعية وأهميتها



◄ التوعية ُ مصدر ُ من (وع َّى)، ي ُقال وع َّى فلانا ً: نصحه، وحمله على إدراك موضوع من المواضيع، ولذا ي ُقال: الإعلام ُ يعمل على توعية الجماهير. وتعد ّ توعية الناس من أ ُسس المواطنة الحق ّة، أي جعلهم يدركون حقائق الأ ُمور. وفلان واع ٍ بحقائق الأمور: م ُدرك ٌ لها، منتبه لأسبابها، ومظاهرها، ومراميها.

هذا في المعنى العام أو اللغوي للتوعية.. أمّا في المعنى الحياتي التطبيقي لها، أي مجالات استخدامها اليوم، فليس الإعلام وحده منبرا ً للتوعية، كما سيأتي، وإنما كلّ مكان مدرسة ُ للتوعية، أي إنّه منبر ُ لـ(الإيقاظ) و(التحريك) و(التنبيه) و(التحذير) و(التثقيف) و(التربية).

وكما لا يمكن حصر ُ ر ُس ُل التوعية في نماذج معدودات، كذلك لا يمكن تحديد مجالات أو أماكن التوعية بحدود؛ لكنسّنا من باب التنبيه والإشارة نذكر الآتي:

1- البيت: حيث يتولَّى الوالدان توعية الأبناء في مرحلة مبكرة من العمر، ثمَّ لا تقتصرُ التوعية عليهما وعلى الجدَّين _ إن° كانا حيَّين -، بل على الأبناء أنفسهم عندما تنمو مداركهم، وتنضج عقولهم، وتستقيم ثقافتهم، ويشتدَّ عود تجربتهم، وعندها يصبح البيت بكلَّ أفراد أُسرته مكاناً أو مدرسة للتوعية. 2- المدرسة: ولا نعني بها (المُعلَّ ِمين) و(الأساتذة) فقط، بل المحيط المدرسي كلَّه ساحة توعية، ابتداءً من إدارة المعهد أو المدرسة وانتهاءً بالتلاميذ أنفسهم، ذلك أنَّ صحبة التلاميذ بعضهم لبعض يمكن أن تكون مجالاً للتوعية، خاصَّة إذا أحسن التلميذ صحبة َ صاحبه، كما أنَّ المناهج التعليمية والمقررات الدراسية تلعب دوراً في التوعية لاسيما الاجتماعي منها.

3- الشارع: وقد يبدو مستغرباً أن نضع الشارع ضمن لائحة أماكن التوعية ومجالاتها؛ لكنّه المساحة الأوسع من دائرتي المنزل والمدرسة، ولا يُراد بالشارع المفهوم المادّي الضيّق، وإنما هو الجماهير التي تتحرّك فيه، والذي يمكن التقاط إشاراته الإيجابية من احترام الناس بعضهم بعضاً، أو احترامهم لنظام الدور (الطابور)، أو من خلال إعانة بعضهم بعضاً، أو من خلال (النقد المجتمعي) فيما نصطلح عليه بالشريعة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، أو عبر لافتات مكتوبة ومعلّقة في أماكن بارزة تُعلّي منا أسلوب أو ثقافة التعاطي مع (النظافة)، أو (احترام الملكية العامّة)، أو (الالتزام بتعليمات المرور) وما إلى ذلك، بل إن هندسة وتنظيم المدن عامل توعية في السير على الأرصفة، وفي عدم مزاحمة المشاة، فضلاً عن إيذائهم والتحر ُسّ بهم، كما أن الشارع اليوم قد ات خذ في المفهوم السياسي ب ُعدا ً لافتا ً، وهو التعبير عن (الجماهير) التي تخرج غاضبة مستنكرة لأعمال وممارسات جائرة أو مرفوضة، أو مؤيدة ومساندة لأعمال وقرارات تصب في خدمة الشعب واستقلاله ورفاهيته وكرامته، سواء أكان الشارع تظاهرة أم اعتصاماً، أم انتفاضة، أم حركة استنهاض.

4- في السفر: حيث لفت القرآن عنايتنا إلى الاهتمام بـ(الصاحب) الذي هو الزميل في الدراسة والعمل، أو الرفيق في السفر، كما دعا الإمام علي 7 في بعض ما روي عنه: «سل عن الرفيق قبل الطريق» لأنه الأنيس في رحلة السفر، ولأنه إن كان رفيقا صالحا ً اتهذ من سفرته معك فرصة ومجالاً للتوعية، بما تلاحظه من حُسن تصر أفه ودماثة أخلاقه، ولطف تعامله معك، أو من خلال لغته المهذ بة، أو ثقافته الرشيدة في الحياة.. وكم من الناس الهادفين م ن استثمر رحلة أو سفرة له مع شخص لم تستغرق وقتا ً طويلا ً؛ لكنه استطاع أن يترك أثره عليه، وي ُغي ّر وجهة نظره حول بعض الأ ُمور والمسائل التي ربما تكون قد التبست عليه.

5- مؤسسات الدولة: قد لا تبدو مؤسسات الدولة ودوائرها الرسمية والحكومية مجالاً للتوعية بالمعنى الحركيّ للتوعية؛ لكنّنا نجد أنّها من أفضل أماكن التوعية، خاصّة في إرشاداتها وتعاليمها التي تُثقِّف المواطن على الالتزام بالنظام، والتي يُقد ِّم موظّفوها الصالحون من أنفسهم نموذجاً لخدمة واحترام المواطن، ذلك أنّ التوعية ليست (كلمات) أو (شعارات) أو (لافتات) فقط، بل هي منهج حياة وأسلوب تعاطي وتفاعل وتعامل.

6- أجهزة الإعلام: وهي الأخطر والأكثر تأثيرا ً بين مجالات التوعية الأخرى، لاسيما وأنسّها اليوم قد احتسّلت مساحة واسعة من وعي المواطنين بأساليبها وقنواتها المتعدسّرة التي تـُخاطب العين والأذن والعقل والمشاعر.. وكلسّما كانت الوسيلة الإعلامية نظيفة وهادفة، أسهمت في مشروع التوعية إسهامات بليغة، مما يستدعي حـُسن اختيار القنوات الإعلامية التي تطلسّ عليها، إذ أن ّ من نعمة (التعدسُّد) فضيلة (الاختيار).

7- المساجد و(خ ُطب الج ُمعة) والحسينيات: ت ُعد ّ المساجد - في المفهوم الإسلامي الأوسع - جوامع (تجمع العلم والعبادة)، وما زالت حتى اليوم ت ُقد ِّم الزادين معا ً، وإن ْ كانت المعاهد الدينية والشرعية والمختصة بالدراسات القرآنية قد استقلت بذاتها بعد أن شاع التخص ّص في حقول العلم والمعرفة والدعوة.

وتلعب المساجد، سواء في الأحاديث التي يـُقد ِ "مها أئم "تها بين الصلوات أم بعدها، أم في المناسبات الدينية المختلفة، أم في (خ ُطب الجمعة)، دورا ً توعويا ً بالغ الأهمية والأثر خاص ّة وأن ّ الذين يـُؤم ّون هذه المساجد، يأتونها طواعية، وأن ّ أجواءها الروحانية تساعد كثيرا ً على تفتح المشاعر لاستقبال كلمات الوعظ وقصص الاعتبار، وأحداث التاريخ، وأخلاق السيرة النبوي ّة والأئم ق :.. ومن هنا كان لزاما ً على خ ُطباء المساجد إيلاء مسألة التوعية الأهمية المطلوبة، باعتماد الأساليب العصرية في التبليغ، وفتح المجال للمحاورات والمحاضرات والمداخلات والمناظرات، واستقبال أسئلة المصل ّين أو

ر ُوَّاد المسجد لإيجاد أجواء تفاعلية تلغي المسافة الحاجبة بين عالم الدَّ ِين وبين الشباب.

وتبقى لخ ُطب الجمعة كونها تجمّ ُع (الديني) و(السياسي) و(الحياتي) و(العبادي) مساحة التأثير الأكبر في الوعي والتوعية، نظرا ً لأنسّها تشمل أعدادا ً أكبر من المصلين، وتأتي في وقت لا تنصرف فيه أذهان المصلين إلى التجارة والأعمال الحرسّة، حيث الجمعة عطلة عند المسلمين.

ويلحق بالمساجد أيضا ً (الحسينيات) التي تقام فيها مجالس ومآتم الحسين (ع)، والتي تمارسُ دورا ً توعويا ً شديد الوقع والتأثير والأهمية، كونها مدارس توعية تبث شحنات الوعي، وزخم الرفض للظلم، وحب ّ الدفاع عن القييَم والأخلاق.

واختزان مواقف الخير والمروءة والشهامة والشجاعة والتضحية، لا من خلال واقعة الطف فقط، بل من خلال سير مراتم الأئم الثمر الخير وتراجم الأئمّة : في مناسبات ولاداتهم ووفياتهم، الأمر الذي يقتضي من خُطباء المنبر التعريج على قضايا (الواقع) من خلال استعراض مواقف (الواقعة)، لأنّ غاية المنبر أو رسالته ليست (تعريفية) فقط، وإنما (تثقيفية) و(تربوية) أيضاءً، وهو الأهم.

8- انسجام الشعائر مع الخطّ التوعوي: الشعيرة ُ: هي ما ندب الشرع ُ إليه، وأمر القيام به، وهذا هو المراد من قوله تعالى: (ذَلَـِكَ وَمَن ْ يُعَظِّم ْ شَعَائِرَ ا أَ فَإِ نَّ َهَا مَن ْ تَق ْوَى المراد من قوله تعالى: (ذَلَـِكَ وَمَن ْ يُعَظِّم ْ شَعَائِرَ الْعَائِر الحج: مناسكه وعلاماته وأعماله.. أمنّا إذا تحد ّثنا عن (الشعائر الدينية)، فالمراد حينئد هو ممارسات الدِّين وطقوسه، أو ط ُرق العبادة، وبالتالي فالشعيرة هي (العبادة الحركية).◄